من حكايات العرب

الْفَقِيرُ وَالْبِئْرُ الْمَسْحُورَةُ

ثريا عبد البديع



كانَ في قديمِ الزَّمانِ أخوانِ اثنانِ، أحدُهُما كانَ غنيًّا، والآخرُ كانَ فقيرًا، وكانَ لِهذا الفقيرِ سبعةُ أولادٍ، أمّا الغنيُّ فكانَ لهُ ولدٌ وحيدٌ. وبرغمِ ضيقِ العيشِ وكثرةِ مطالبِ الأولادِ على أبيهِم الفقيرِ، فإنَّ حياتَهم كانتْ سعيدةً هانئةً، فقدْ كانتْ لهُ زوجةٌ طيّبةٌ، تُوافِقُ أخلاقَهُ الطيّبةَ، في حينِ كانتْ حياةُ أخيهِ الغنيِّ كلُّها كدرٌ وحزنٌ وملَلٌ.



وَذَاتَ يَوْمٍ دَعَا الْغَنِيُّ أَخَاهُ الْفَقِيرَ إِلَى بَيْتِهِ لِيَتَنَاوَلَ مَعَهُ الطَّعَامَ، وَبَيْنَمَا كَانَ الْفَقِيرُ جَالِسًا، إِذْ سَمِعَ زَوْجَةَ أَخِيهِ فِي الْمَطْبَخِ تَقُولُ لِزَوْجِهَا:

ـ لَقَدْ تَعِبْتُ وَطَبَخْتُ وَجَاءَ أَخُوكَ لِيَأْكُلَ، وَلَيْسَ مَعَنَا نُقُودٌ لِذَلِكَ الإِسْرَافِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا تَعُدْ لِهَذِهِ الْفَعْلَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

شَعَرَ الْفَقِيرُ بِالْحُزْنِ وَالأَلَمِ، لَكِنَّهُ كَتَمَ حُزْنَهُ وَأَلَمَهُ حَتَّى لَا يُكَدِّرَ أَخَاهُ، وَلَمَّا جَلَسَ مَعَهُ أَخُوهُ، تَنَاوَلَ لُقَيْمَاتٍ قَلِيلَةً، ثُمَّ شَكَرَ أَخَاهُ وَانْصَرَفَ.



وفي الطريق عثر على «ليرة»، فالتقطها في فرح شديد، وعزم على أن يشتري بها طعاماً يتمتع به أولاده، لكنه أحس بالعطش فمال إلى بئر ليروي منها ظمأه، ولسوء حظه، سقطت منه «الليرة» في البئر.

حزن الفقير وتألم، ثم قال للبئر يزجرها: «يا بئر... يا بئر... ردّي لي ليرتي!» ثم ألقى بدلو في البئر، ثم سحب الدلو، فإذا فيه صحن كبير، فقال للبئر: وماذا أصنع به؟

أجابته: إن قلت للصحن: امتلئ، فسوف يمتلئ بأطايب الطعام.



أسرع الفقير إلى داره، يحدث نفسه بما سوف يطلبه من الصحن، وجاء على باله طعام كثير يشتهيه أولاده، لكنه لم يستطع أن يوفره لهم لفقره، وضيق ذات اليد... ولما وصل إلى الدار، وجد أولاده في انتظاره، فقال للصحن: «امتلئ»، فامتلأ الصحن الكبير بأنواع من الطعام الساخن اللذيذ، لم يشموا ريحه من قبل، فأكلوا جميعا، وحمدوا ربهم.

وظلت الحال على هذا المنوال: يأكل الفقير وأهله كل ما لذ طعمه، ثم يحمد الرجل ربه الرزاق.



وكانت زوجة الغني تراقب حالهم. وذات يوم سمعت الفقير
يتحدث إلى الصحن، فأكلها الحسد والحقد. وبينما كان الفقير خارج
الدار، جاءت زوجة أخيه إلى بيته تطلب صحنا للطعام، وادعت أنها في
حاجة لصحن كبير، فأعطتها واحدة من بنات الفقير الصحن الكبير،
وعادت به زوجة إلى بيتها، سعيدة بغنيمتها. ولما



أصبح الصباح، سأل الفقير أولاده عن الصحن، فأخبرته ابنته بأنها قد أعطته لزوجة عمها. فمضى الفقير إلى البئر حزيناً، وقال لها:

- «يا بئر... يا بئر... ردي لي رزقي».

ثم ألقى «الدلو» في البئر وسحبها، فإذا بمنخل يخرج في «الدلو». فقال الفقير:

- وماذا سأصنع بالمنخل؟

أجابته البئر: كلما هززته سقط منه الدقيق



عَادَ الرَّجُلُ بِالْمُنْخُلِ إِلَى صِغَارِهِ، فَصَارَ يَهُزُّ الْمُنْخُلَ وَالدَّقِيقُ يَتَسَاقَطُ مِنْهُ، حَتَّى امْتَلَأَ وِعَاءٌ كَبِيرٌ. وَصَارَتِ الزَّوْجَةُ تَعْجِنُ الدَّقِيقَ، وَتَخْبِزُ لِأَوْلَادِهِ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَحَمِدُوا رَبَّهُم... وَبَقِيَ خُبْزٌ أَهْدَتْهُ الزَّوْجَةُ الطَّيِّبَةُ إِلَى زَوْجَةِ الْغَنِيِّ. تَحَرَّكَ الْحِقْدُ فِي قَلْبِ زَوْجَةِ الْغَنِيِّ، وَصَارَتْ تُرَاقِبُ بَيْتَ الْفَقِيرِ، حَتَّى عَلِمَتْ بِأَمْرِ الْمُنْخُلِ الْمَسْحُورِ.



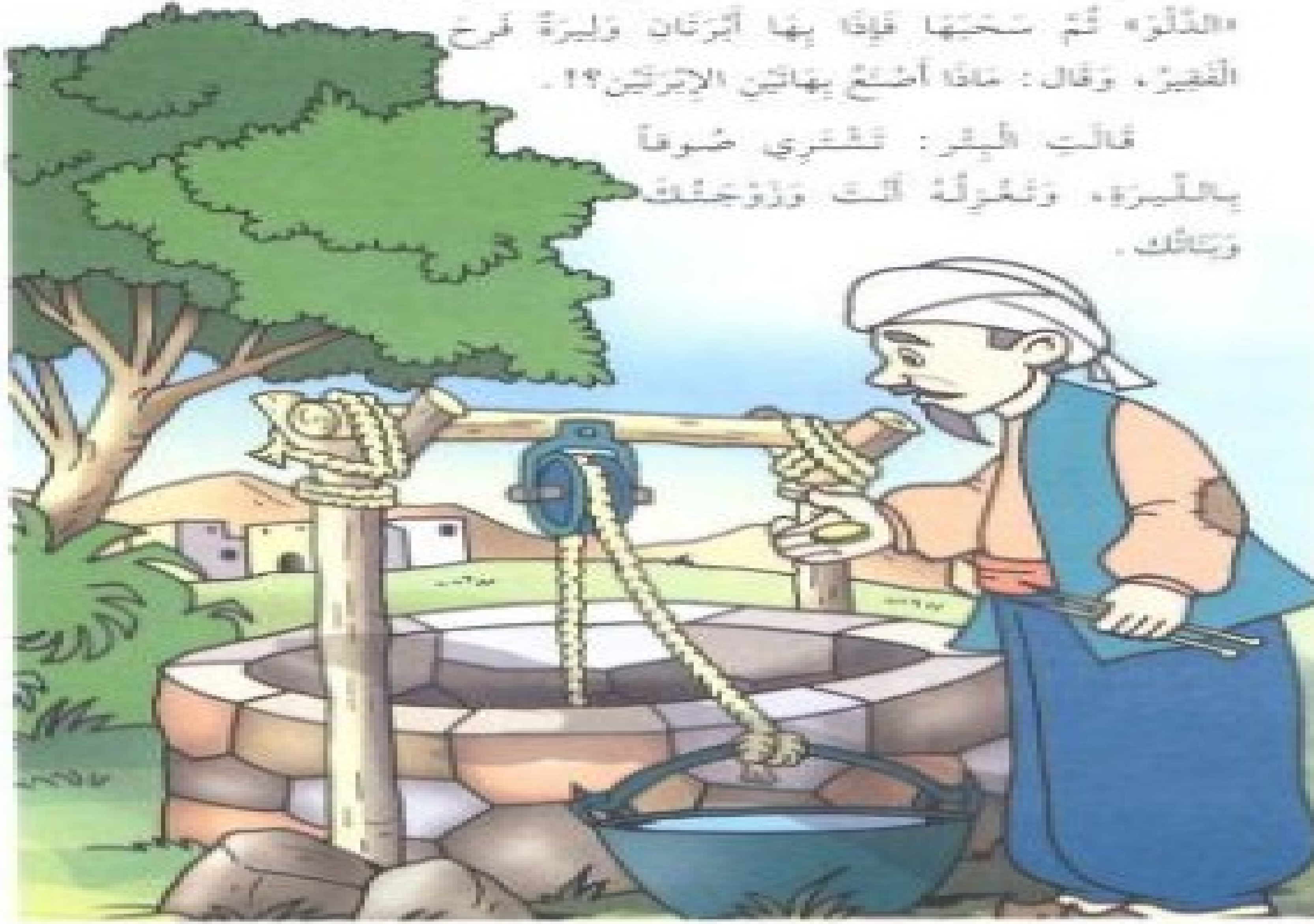
وَجاءَ يَوْمٌ انْتَظَرَتْ فيهِ زَوْجَةُ الْغَنِيِّ أَخا زَوْجِها حَتّى يَخْرُجَ، وَلَمّا خَرَجَ الْفَقيرُ مِنْ دارِهِ، ذَهَبَتْ إِلى أَوْلادِهِ تَطْلُبُ مُنْخُلاً لِتَنْخُلَ دَقيقاً اشْتَراهُ زَوْجُها، فَأَعْطَتْها إِحْدى بَناتِ الْفَقيرِ «الْمُنْخُلَ». وَفي الْيَوْمِ التّالي سَأَلَ الْفَقيرُ أَوْلادَهُ عَنِ «الْمُنْخُلِ». فَقالَتْ إِحْدى بَناتِهِ:

ـ لَقَدْ جاءَتْ زَوْجَةُ عَمِّنا وَأَخَذَتْهُ لِتَنْخُلَ بِهِ.



مضى الفقيرُ إلى البئرِ خجلاً، منكسرَ النفسِ، يشكو لها ضياعَ «المنخلِ»، وقال: «يا بئرُ.... يا بئرُ.. رُدّي لي ليرتي»، وأسقطَ «الدلوَ» ثمّ سحبَها فإذا بها إبرتانِ وليرةٌ فرحَ الفقيرُ، وقال: ماذا أصنعُ بهاتينِ الإبرتينِ؟».

قالتِ البئرُ: تشتري خيوطاً بالليرةِ، وتطرّزُ أنتَ وزوجتُكَ وبناتُكَ.



رَجَعَ الفَقيرُ إلى زَوْجَتِهِ وَأَوْلادِهِ بَعْدَما اشْتَرى الصُّوفَ، وَأَمَرَ زَوْجَتَهُ وَبَناتَهُ بِغَزْلِهِ، سَعِدَتِ الزَّوْجَةُ بِذَلِكَ، فَقَدْ كانَتْ تُجيدُ الغَزْلَ وَالعَمَلَ بِالإِبْرَتَيْنِ، وَكانَتِ الإِبْرَتانِ تَتَحَرَّكانِ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ تُنْتِجانِ أَجْوَدَ النَّسيجِ، وَكانَ الزَّوْجُ يَذْهَبُ إلى السُّوقِ لِبَيْعِهِ فَيَتَدافَعُ عَلَيْهِ المُشْتَرونَ، إذْ كانَ النَّسيجُ جَيِّداً وَلا مَثيلَ لَهُ.

سارَتِ الأُمورُ عَلى حالٍ طَيِّبَةٍ، وَأَصْبَحَ الفَقيرُ مِنَ التُّجّارِ المَعْروفينَ بِالأَمانَةِ وَالصِّدْقِ، بِجانِبِ جَوْدَةِ



الْمَنْسُوجَاتِ الَّتِي يَعْرِضُهَا، فَصَارَ النَّاسُ يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ الْأَنْحَاءِ.

وَلَمَّا عَلِمَتْ زَوْجَةُ الْغَنِيِّ بِمَا أَصْبَحَتْ عَلَيْهِ حَالُ «الْفَقِيرِ» انْتَظَرَتْ يَوْمًا غَابَ فِيهِ الرَّجُلُ وَزَوْجَتُهُ فِي السُّوقِ، وَذَهَبَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الطَّامِعَةُ إِلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَادَّعَتْ أَنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى إِبْرَتَيْنِ لِتَتَعَلَّمَ النَّسْجَ. وَلَمْ تُرِدِ الْبِنْتُ أَنْ تَرُدَّهَا خَائِبَةً، فَأَعْطَتْهَا مَطْلَبَهَا.



وعادت السيدة لتجرب الإبرتين فصارتا في جميع أنحاء جسدها، وسال الدم من جراحها، حتى وخزتها إحدى الإبرتين وخزة جامدة في قلبها الممتلئ حقداً وحسداً، فوقعت المرأة... فقالت لها الإبرتان: أيتها العاطلة، أما كفاك ما أخذت؟!.. هذا جزاء حقدك وحسدك.. أنا ألت فلن تعرفي يوماً كيف يكون الغزل!!



أخذت امرأة الغنيّ تبكي وتضرّع من الألم، وتنادي زوجها تستنجد به، فقال:

ـ قد يكونُ هذا درساً قاسياً لكِ، لطمعكِ وكراهيتكِ لأخي وأولاده.

وفي نهاية الأمر لم تستطع الزوجة أن تقوم من رقدتها. فأخذ الغنيّ الإوزتين إلى بيت أخيه ليخلّص زوجته منهما، ويعتذر لهما.



وَبَيْنَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ الْغَنِيِّ تَرْقُدُ فِي سَرِيرِهَا تُقَاوِمُ الْمَرَضَ وَالْجِرَاحَ، حَزِينَةً عَلَى مَا ضَاعَ مِنْهَا، إِذْ تَحَوَّلَ الصَّحْنُ الْمَسْحُورُ إِلَى صَحْنٍ عَادِيٍّ كَغَيْرِهِ مِنَ الصُّحُونِ، وَكَذَلِكَ الْمِنْخَلُ صَارَ مِثْلَهُ كَمِثْلِ كُلِّ الْمَنَاخِلِ، كَمَا تَحَوَّلَتِ الْإِبْرَتَانِ إِلَى إِبْرَتَيْنِ عَادِيَتَيْنِ كَغَيْرِهِمَا مِنَ الْإِبَرِ... وَلَمَّا ذَهَبَ الرَّجُلُ التَّاجِرُ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْبِئْرِ لِيَشْتَكِيَ مِنْهَا مَا حَدَثَ، قَالَتِ الْبِئْرُ:

ـ لَمْ تَعُدْ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ مَسْحُورٍ بَعْدَمَا أَصْبَحَتْ تَعْمَلُ وَتَغْزِلُ أَجْوَدَ أَنْوَاعِ الْغَزْلِ، وَصَارَتْ زَوْجَتُكَ وَبَنَاتُكَ مِنْ أَمْهَرِ النَّاسِ فَهَنِيئًا لَكَ بِتِلْكَ الْأَيَادِي الْمَسْحُورَةِ!

